تعريب التعليم العالي
وصلته بالترجمة والمصطلح

د. شحادة الخوري
خبير وحدة الترجمة في إدارة
الثقافة بالمنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلـوم

تساءلت وأنا أهم بالكتابة : ماذا عساي أكتب في موضوع طالما بحث في الندوات والمؤتمرات وتناولته أقلام الكتاب في الصحف والمجلات — وهل يكون الحديث فيه إلا مكررا ومعادا ؟ .

قلت : فليكن ما كتب في هذا الموضوع وافرا وما قيل فيه أوفر ، فإن التكرار والإعادة يكونان واجبين إذا ما لبثت المشكلة قائمة لم تجد لها حلا .

إن الحديث عن تعريب التعليم العالي ينطلق من واقع هو ان هذا التعليم مازال غير معرب في الوطن العربي أي أنه يؤدي في قسم كبير منه بغير اللغة العربية ، وعلى وجه التحديد بالانكليزية والفرنسية .

وبغية ايضاح ذلك نشير إلى أن هذا الواقع لا يتمثل في جميع الأقطار العربية بصورة واحدة : فثمة قطر عربي واحد افتتح التعليم العالي لديه بالعربية منذ ما ينوف عن ستة عقود وثابر عليه حتّى الآن ، وثمة أقطار عربية تسلك الطريق إلى تعريب التعليم العالي لديها بعزيمة صادقة فعربت العلوم الانسانية والاجتماعية وشرعت أو هي تستعد للشروع في تعريب العلوم الاساسية والتطبيقية ، وثمة أقطار أخرى ترغب في التعريب ولكنها لم تخط في طريقه سوَى خطوات متواضعة . ولكن سؤالاً يعرض : كيف بدأ التعليم العالي في البلدان العربية بغير العربية ولماذا ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي العودة إلى أوضاع التعليم الجامعي في مطلع النهضة الحديثة في مصر والشام[1] :

«إن محمد علي ، إذ تولى الحكم في مصر ، أراد الأخذ بأسباب المدنية الحديثة فاهتم بنشر العلم ، فيما اهتم به ، ففتح في مصر مدارس عسكرية ومدارس للطب والهندسة والزراعة والبيطرة والصناعات والفنون ومدرسة الألسن والترجمة وأصدر أول صحيفة عربية هي ،، الوقائع المصرية . وفي هذه المدارس جميعها كان

(1) الأمير مصطفَى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) ط 1965 ص 43 .

التدريس يؤدى بالعربية حتّى ان الدروس التي كان يلقيها أساتذة فرنسيون كانت تترجم وتلقى بالعربية . وفي أيام اسماعيل كانت العربية لغة التدريس في جميع المدارس الحكومية بمصر على اختلاف درجاتها وأنواعها خلافا لما كانت عليه الحال في الأقطار العربية الأخرى التابعة للدول العثمانية .

أما بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882 ، فقد لبثت أكثر المدارس تدرس بالعربية ولكن تغييرا لحق بأهم هذه المدارس وهي مدرسة الطب التي أنشأها محمد علي في أبي زعبل عام 1826 ثم نقلت إلى قصر العيني بالقاهرة عام 1837 فقد حول التدريس فيها من العربية إلى الانكليزية بعد سنوات خمس من الاحتلال وذلك بعد أن لبثت أكثر من ستين عاما تدرس العلوم الطبية بالعربية بل كانت أهم معهد لنقل العلوم الطبية والعلوم الأساسية : علم الكيمياء وعلم الفيزياء وعلم الجيولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان إلى لغة الضاد وفي رحابها نشأ أعظم نقلة هذه العلوم والمؤلفين فيها .

لقد أريد للاحتلال ألا يكون عسكريا واقتصاديا فحسب بل أرادوه احتلالا ثقافيا ولغويا أيضا كما يكون أصلح وأرسخ ، ويزرعوا الشك والريبة في نفوس أبناء البلاد بأهم مقومات أصالتهم العربية ومكونات حضارتهم التليدة ، اللغة العربية من حيث صلوحها لغة للعلم والتعليم في هذا العصر .

وفي بلاد الشام ، أحدثت مدرسة أمريكية في قرية عبية بلبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم انتقلت إلى بيروت وحملت اسم الكلية الامريكية وكان علم الطب مع سائر العلوم المتصلة به يدرس فيها بالعربية بنجاح ظاهر . ولكن وفي غفلة من الزمن ، وبعد بضع سنوات فقط في عملها في بيروت جرى تحويله إلى الانكليزية .

وهكذا اقصيت اللغة العربية من التعليم العالي حتّى تأسست كلية الطب في دمشق أواخر عام 1919 في عهد الملك فيصل فاتخذت العربية لغة للتدريس خلفا للقصر العيني بمصر والكلية الامريكية في بيروت واستمرت كذلك حتّى اليوم .

إن هاتين الظاهرتين المتماثلتين والمتمثلتين باحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية في التدريس الجامعي وبشكل خاص في الكليات الطبية والفروع العلمية لم تحدثا مصادفة بل كانتا حصيلة دوافع سياسية ترمي إلى إضعاف اللغة العربية في أرضها وبين أهلها لأنها روح الأمة وقوام وجودها وسر بقائها واللحمة بين أبنائها .

فإن الاستعمار الذي غزا الوطن العربي بدءا من عام 1830 تاريخ حملته على الجزائر استهدف محاربة اللغة العربية فيما استهدف واتخذ له في ذلك مسالك شتّى : اقصاءها عن التعليم الجامعي ، تشجيعه اللهجات العامية المحلية ، اتهامه الفصحى بالقصور والجمود ، فتح المدارس الأجنبية لنشر ثقافته ومحاصرة الثقافة العربية ، كل ذلك بقصد أن يفرض على الأقطار العربية شكلا من أشكال التبعية اللغوية لم تخدم مصالحه وتكرس نفوذه المعنوي والسياسي . فعل ذلك في المشرق العربي : مصر والشام والعراق وفعل أسوأ منه في أقطار المغرب العربي التي أراد سلخها من العروبة بتغريبها ثقافيا ولغويا وحكايته في ذلك معروفة .

إنه لم يفعل ذلك غافلا بل فعله متعمدا لأنه إذ صوب سهامه إلى اللغة العربية فإنما أراد أن ينال منها في عقر دارها لأنها آصرة القومية والمدخل إلى الوحدة العربية التي ينشدها العرب ووعاء لحضارة ثرة وسعت الحضارات التي سبقتها وأغنت الحضارات التي تلتها وانداحت في الزمان والمكان اتساعا وعمقا يرفدها الإسلام بمعانيه وقيمه السامية فتزيده اشراقا ببلاغتها الناصعة .

وامتد الزمن وناضل العرب المستعمر في كل دار من ديارهم وفي كل قطر من أقطارهم حتّى حطموا النير وتخلصوا بعد تضحيات جسام من التبعية السياسية بلدا إثر آخر ولكن التعليم ولاسيما العالي ظل باللغة الأجنبية

الانجليزية في المشرق العربي ووادي النيل والفرنسية في تونس والجزائر والمغرب .

إن تعريب التعليم جملة وتفصيلا ، والعالي بخاصة هو استكمال للاستقلال ورفض للتبعية الثقافية واللغوية أو لبقاياها وترسباتها .

ولكننا قبل أن نمضي في الحديث أجد من المفيد أن نجيب عن سؤالين اثنين : أولهما ما مقدار النجاح الذي أصابه التدريس بالعربية في التجربة التي أشرنا إليها وثانيهما لم بقي التدريس باللغة الأجنبية بعد أن استقلت الدول العربية وملكت سيادتها ؟

خلال تلك التجربة لم يلحظ قصور في العربية عن أداء العلوم الحديثة إذ هبّ النابهون من الأساتذة في مصر يؤلفون ويترجمون لتوفير الكتاب الملائم بالعربية فألف محمد علي البقلي في الجراحة ومحمد الشافعي في الأمراض الباطنية ومحمد ندى في الزراعة والنبات والحيوان والكيمياء والفيزياء وعلي رياض في الصيدلة وكان لرفاعة الطهطاوي ومحمد البيومي نشاط في التأليف والترجمة .

وفي الكلية الامريكية ببيروت اشتهر ثلاثة علماء مستعربون فنديك وبوست وورتبات فوضعوا تآليف بالعربية في كل علم من العلوم ، يقول الشهابي عنهم : «جاء عملهم لحقا لعمل العلماء المصريين ومتمما له على قدر الحاجة إلى العلوم ومصطلحاتها في تلك الأيام»[2] .

وفي كلية الطب بدمشق وكليتي طب الاسنان والصيدلة وكلية العلوم فيها اشتهر أساتذة كبار مارسوا التدريس بالعربية ووضعوا مؤلفات ممتازة ونقلوا إلى العربية كتبا مهمة وصنفوا المعاجم العلمية أمثال الدكتور مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وميشيل الخوري وحسني سبح وصلاح الدين الكواكبي ومحمد جميل الخاني وغيرهم كثيرون . اما ان يكون التدريس قد بقي في جزء كبير منه باللغة الأجنبية بعد استكمال الاستقلال والتمتع بالسيادة فإن وراء ذلك عوامل عديدة منها قوة الاستمرار فيما حصلت عليه الحال فقد ألفه بعض الناس ولم ينكره بعض آخر ومنها أن أساتذة الجامعات كانوا يتمون اختصاصاتهم ومازالوا في جامعات البلدان الأجنبية وبلغات تلك البلدان فاستهلوا أو الأصح استهل أكثرهم التدريس بعد عودتهم إلى بلدانهم باللغة التي أتموا بها اختصاصهم وكتبوا بها رسائل التخرج وقدموا بها بحوثا ومحاضرات ... ومنها انه لم تتخذ في الوقت الملائم بل نستطيع القول حتّى الآن ، قرارات حاسمة على الصعيد القومي لحل موضوع المصطلح حلا مقنعا : وضعه وتنسيقه وتوحيده وتعميم استخدامه وموضوع الترجمة الهادفة إلى توفير الكتب والمراجع والبحوث اللازمة للتعليم العالي والدراسات العليا بالكيفية والكمية والنجاعة والسرعة اللازمة وبما يتلاءم مع ما هي عليه الحال في البلدان المتقدمة .

إن طموحنا إلى تعريب التعليم العالي يظل طموحا مشروعا انه صوت . العاطفة والعقل بيد ان التأهب له واتخاذ الحيطة واعداد العدة يدرأ خطر التعثر ويصد احتمال الفشل أو النكسة .

وانه لينبغي لنا أن نشير إلى اننا عندما نتكلم عن تعريب التعليم العالي فانما ينطوي كلامنا بالضرورة على تعريب التعليم ما قبل الجامعي ان هذا التعليم سواء في سلم الأولويات أو في سلم التسلسل المرحلي يأتي قبل التعليم العالي بل لا يمكن أن نتصور بلدا يكون التدريس باللغة القومية في جامعاته والتدريس بلغة أجنبية في مراحل التعليم السابقة الابتدائية أو الاعدادية أو الثانوية .

وإذا كنا نخص في حديثنا عن التعليم العالي تدريس العلوم في الجامعات بالنصيب الأوفى . فإن مرد ذلك ان الخلاف يدور غالبا حول اللغة التي ينبغي أن تدرس بها العلوم الأساسية والتطبيقية أكثر من سواها من العلوم الاجتماعية والانسانية أو الآداب أو الفنون فكأن المسألة المطروحة للنقاش والتي فيها تختلف الآراء وتتباين وجهات

(2) الأمير مصطفى الشهابي : المصدر نفسه ص 48

النظر هي التالية : هل تصلح اللغة العربية ان تكون لغة العلم في هذا العصر أم لا ؟

ثم ألا يحسن بنا أن نطرح السؤال التالي : لماذا نعرب التعليم الجامعي منه وغير الجامعي ؟

قد يكون ما يراه أحد الناس بديهية من البديهيات أو مسلمة من المسلمات أمرا يقبل الجدل والنقاش عند غيره .

إن اللغة العربية ليست شيئا منفصلا عنا، كساء نرتديه اليوم ونخلعه غدا بل هي شيء منا نعيشه منذ الطفولة حتّى النفس الأخير انها اللغة الأم وهل أكثر من الطفل تعلقا بأمه وأصدق من الأم حبا لولدها ؟

إن اللغة ليست أداة للقول ووسيلة للتعبير فحسب بل هي وسيلة التفكير وتجسيده إنها الفكر نفسه في حالة العمل وليس ثمة تفكير حي دقيق بدون لغة حية دقيقة . إن تعريب العلم والتعليم هو تعريب للفكر والتفكير .

إن الوعي القومي متصل بالوعي الثقافي . وليس من ثقافة أصيلة بدون لغة تستوعبها وتعبر عنها . إن كل شعور بوحدة الأمة العربية مرتبط أصلا برباط اللغة التي هي الجامع الأساسي بين أفراد الأمة .

إن حدود الوطن العربي من الخليج إلى المحيط هي حدود انتشار اللغة العربية بين أبناء هذا الوطن .

إن العربي الذي يقرأ كتابا بلغته الأم يبذل مجهودا واحدا لفهم معانيه ولكن من يقرأ كتابا بلغة أجنبية يبذل مجهودين أحدهما لفهم اللغة الأجنبية لفظا وعبارة وآخر لفهم المضمون .

إن الابداع والابتكار لا يتولدان إلا بعد تمثل صحيح للمعطيات . ومن الأسهل أن يتم هذا التمثل من اللغة التي يتعلمها الإنسان منذ نعومة أظفاره فتخالط تفكيره وتندرج بيسر على لسانه ويأتلف معها أخذا وعطاء .

وإذا كان هذا هو موقعنا من اللغة العربية وموقع اللغة العربية منا فأين موقع مؤسسات التعليم العالي أقصد الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة من هذه اللغة في وقت انتشرت فيه هذه المؤسسات في طول الوطن العربي وعرضه وصارت مصنع الفئات القائدة في المجتمع العربي في كل ميادين الفكر والعلم والأدب والفن والممسكة بزمام السياسة والإدارة والتوجيه والقيمة على تنمية موارد البلاد وتطويرها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لتحقيق بناء المجتمع العربي المعاصر القادر على المشاركة في صنع الثقافة الانسانية واستئناف دوره في ارساء القيم الحضارية الرفيعة ؟

1 — إن هذه المؤسسات مدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى تحقيق التوازن الطبيعي بين الفكر واللسان بين المعرفة واللغة ليكون ما يكسبه الدارس تمثلا فابداعا لا استعارة فتكرارا وترديدا .

إن الدواعي إلى ذلك أكثر من أن تجمع في عجالة بحث . لقد كتب أحد الباحثين[3] يقول : «إن الأمة العربية اليوم في حاجة إلى بعث الوعي العميق بكل جوانب أصالتها . وان أول خطوات الوعي أن يعي الانسان العربي ذاته وعي اللغة في معنًى من معانيه وعي للذات . وان الجامعات العربية وهي مراكز الاشعاع الفكري الحر مدعوة إلى بعث هذا الوعي اللغوي ورفع شعار النهضة اللغوية وبيان الحاجة الماسة إليها والعمل على توفير أسبابها واعلان أن أية دعوة إلى بناء المجتمع العربي تبقى بتراء ناقصة إذا لم يكن همها رعاية اللغة والعمل على صيانتها ونمائها ومدها بما يكفل مواءمتها للتطور العلمي السريع الذي نشهده اليوم» .

2 — إن غاية مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي هي أن تخدم المجتمع العربي وهي ليست بقادرة على أداء هذه المهمة الّم تكن قريبة من هذا المجتمع ووثيقة الصلة به . ان اللغة العربية هي الجسر الواصل بين الطالب الذي انهى دراسته الثانوية ، وهي في الأعم الأغلب

(3) الدكتور مازن المبارك : اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي دار النفائس بيروت 1973 ص 10 .

بالعربية وبين الدراسة الجامعية كما أنها الجسر الواصل بين المتخرجين من الجامعات وبين أبناء المجتمع الآخرين . وإذا ما انقطع هذا الجسر أو تهاوى وجد الطالب نفسه في عالم غريب لم يألفه ووجد المتخرج بينه وبين المجتمع حاجز لغة .

3 ــ لقد اتسع العلم في هذا العصر اتساعا كبيرا وظهرت التخصصات الدقيقة فيه. فهل نجعل الطالب المتعلم يتصرف بكل ملكاته إلى دراسة المادة العلمية باللغة الأم فيفهمها فهما سليما، أم نزيد بأن نحمله عبء اللغة الأجنبية فنجمع عليه صعوبتين في آن واحد ؟. في الحال الأولى يقرأ فيفهم وفي الحال الثانية يقرأ فيترجم فيفهم واما عند الحديث فانه يفكر فينطق بما يفكر به في الحالة الأولى واما في الحالة الثانية فيفكر ثم يترجم فينطق . أليس في هذه الحالة الثانية عنت ومشقة بل فصام بين الفكر واللسان ؟ .

إن من شروط الابداع أن يكون ثمة ترابط وانسجام بين الفكر واللسان وأن يترجم اللسان عن الفكر مباشرة لا أن يصرف المرء جهوده لترجمة فكره إلى غير لسانه .

4 ــ ان أكثر الجامعات العربية تدرس الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية باللغة العربية وتدرس العلوم الأساسية والتطبيقية بلغة أجنبية . ولنقل قولة الصراحة والحق أننا لا نستطيع أن نجتاز عتبة التخلف إلا باقتباس العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتطورة التي أصبحت أساس التنمية الاقتصادية والقدرة العربية والمنعة الاجتماعية والسيادة السياسية ولا نستطيع أن نتحول من قوم يستهلكون «ثمرات العلم والتقنية» إلى مشاركين في صنع «العلم والتقنية» إلا إذا وفرنا للمجتمع العربي ثلاث فئات يساند بعضهم بعضا وتكمل كل فئة من هذه الفئات ما تقوم به الفئتان الأخريان : فئة العلميين المتخصصين وفئة العلميين المتوسطين وفئة العمال الفنيين .

إن الجامع اللغوي بين هذه الفئات ذات المستويات العلمية المختلفة والتي ينبغي أن تتساند وتتكامل في أعمالها انما هي اللغة العربية يتخاطبون بها ويتفاهمون ، فإذا ما تعددت لغاتهم عسر التفاهم واضطرب التعاون فيما بينهم .

5 ــ وبأية لغة يتفاهم الأساتذة الجامعيون فيما بينهم ؟ إننا إذا اعتمدنا لغة أجنبية واحدة كالانكليزية أو الفرنسية مثلا استوجب ذلك اعداد هؤلاء الأساتذة في بلد واحد هو صاحب تلك اللغة والاعتماد على المراجع العلمية المكتوبة بتلك اللغة حصرا . ومن مراجعة أحوال الايفاد للدراسة العليا نجد أنه يكون من الأجدى إذا عدّدنا بلدان الدراسة للموفدين للتخصص وعددنا المراجع العلمية وذلك كي نحصل على خير ما في البلدان المتقدمة من علوم ومؤلفات وخبرات وهي تتكلم أكثر من لغة أو لغتين : الانكليزية والفرنسية والألمانية والروسية والاسبانية والايطالية ... وبالفعل أخذت بعض الأقطار العربية بمبدأ الايفاد إلى أكثر من بلد لاعداد متخصصيها وفي هذه الحال لا يكون التدريس الجامعي ممكنا إلا باللغة العربية التي تجمع ما بين الأساتذة جميعا وتتيح لهم التفاهم فيما بينهم مهما اختلفت لغات البلدان التي انجزوا فيها دراستهم .

6 ــ إن التعليم العالي في عالم اليوم صار للمواطن بمثابة الخبز يقبل عليه أبناء الفئات الاجتماعية المختلفة لا أبناء الفئات المتمتعة بالجاه أو المال فحسب . ومن هنا نشأت فكرة «ديمقراطية التعليم» أي اتاحة فرصة التعليم لجميع طالبي العلم مهما تباينت أوضاعهم الاجتماعية والمادية .

وإذا كان الأمر كذلك انتفى احتكار التعليم من قبل فئة متميزة في مقدورها أن تنفق على الدراسة في المدارس الأجنبية أو الخاصة ثم في البلدان الأجنبية وصار لزاما أن يؤمن التعليم في مختلف المراحل بما فيها مرحلة الدراسات العليا وفي كل الاختصاصات لكل راغب فيه وقادر عليه باللغة العربية .

7 ــ ان الدعوة إلى تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ليست تعصبا أو بدعة أو ردة ، بل هي تصحيح لمسار وعودة إلى الأصل ، إلى ما ينبغي أن يكون .

إننا لسنا أول قوم فكروا بجعل لغتهم لغة العلم والتعليم في بلادهم بل فكر بذلك أقوام وشعوب هي أقل منا عددا وأصغر رقعة أرض وليس لهم مشاركة مثل مشاركتنا في صنع الحضارة الانسانية في العصور السالفة ، أليس من العجب أن يكون تدريس العلوم في بلدان مثل فنلندا وبلغاريا واليونان ورومانيا والجمهوريات السوفياتية المتعددة اللغات بل في اسرائيل الدولة التي اصطنعتها الصهيونية من جماعات تتكلم بلغات شتّى بلغاتها الخاصة ونظل نحن في الوطن العربي الكبير برقعته وعدد أبنائه وبثقافته الغنية قديمها وحديثها قانعين بالتدريس بلغات أجنبية ؟ ألا ينطوي هذا الموقف على اتهام منا للغتنا المجيدة بالقصور والعجز ويحمل اساءة للشعور القومي ويشكل عقبة في طريق وحدتنا الفكرية والثقافية بل السياسية ؟.

إن الحديث عن دوافع تعريب التعليم حديث يطول. ومما يثير الأسَى أن يحتاج الكاتب في هذا الموضوع إلى الاتيان بحجج تدعم آراءه في حين أن التعريب من البداهة شأنه ولا يحتاج إلى برهان .

وثمة أمر خطير أود أن ألفت النظر إليه وهو أثر التدريس الجامعيْ بغير العربية في نفوس الدارسين وأثره في اللغة العربية ذاتها .

إن الطالب الذي يدرس في جامعة بلده بالفرنسية أو الانكليزية يداخله الظن بأن اللغة العربية قاصرة لا تصلح أداة للتعليم ولا وسيلة للبحث العلمي ويتنامَى ظنه مع الزمن حتّى يتحول يقينا فإذا بينه وبين لغته الأم حجاب كثيف بل يقوم بينه وبين ما كتب بها ويكتب ، تراثها الفكري وروائعها الأدبية وانجازاتها العلمية والفنية قطيعة أو ما يشبه القطيعة .

وكيف نتصور أن يكون موقفه من أمته تاريخها وحاضرها ومستقبلها وهو ينظر إلى ثمرات عبقريتها نظرته إلى طلل دارس أو أثر عفَى عليه الزمن .

وأما أثر ذلك في اللغة ذاتها فإن اللغة كائن حي يولد ثم ينمو مع الزمن ويتأثر بالبيئة الطبيعية والبشرية ، فإذا ما جعل في عزلة وابعد عن مجاري الحياة ومساقات التطور ضمر أو جمد مكانه . وعندما يلتفت إلى اللغة ابناؤها إذ ذاك يعيبون عليها العجز والقصور في حين انها لا عاجزة ولا قاصرة وإنما هم الذين ضنوا عليها بجهدهم وحجبوا عنها بواعث النمو والاغتناء والتطور .

إن توثيق الصلة واحكامها بين الأمة تراثا وواقعا وبين ثقافة أبنائها ونشاطهم الذهني أمر في غاية الأهمية لأنه تحصين للأمة من الضياع وصون لذاتيتها من الاندثار .

إن الحديث عن تعريب التعليم يستدعي بالضرورة توجيه السؤال التالي : هل تعني الدعوة إلى تعريب التعليم اهمال اللغات الأجنبية ؟

إننا نعتقد أن تعريبْ التعليم لا يتعارض البتة مع تدريس اللغة الأجنبية فإذا كان للتعريب دوافعه فإن لتدريسها اللغة الأجنبية ضروراته أيضا . فليس من أحد يريد أن يكون التعريب اكتفاء أو انغلاقا بل يريده الداعون إليه اغتناء وانفتاحا اغتناء بتمكين المتعلم من كسب أكبر قدر من المعرفة وبأيسر السبل وانفتاحا على نتاج المعرفة في البلدان المتقدمة .

إن المتخصصين من أبنائنا ينبغي أن يكون في استطاعتهم الوقوف على مصادر المعرفة بلغة أجنبية واحدة على الأقل يتقنونها كل الاتقان ويتابعون التخصص بها في البلد الناطق بها إذا أرادوا ويرجعون بها عند الحاجة إلى المراجع العلمية المدونة بها من كتب ومؤلفات وموسوعات ودورياتْ ...

ونستطيع أن نرسم لذلك خطة نطبقها في التعليم الثانوي والتعليم العالي تقوم على الأسس التالية :

1) نمكن الطالب من أن يتعلم لغة أجنبية واحدة على الأقل في المدارس الثانوية .

2) نساعد الطالب في الجامعة على اتقان اللغة التي تعلمها في المرحلة الثانوية ونخصه بدروس بتلك اللغة التي تتصل باختصاصه .

3) ندرج في الكتب المؤلفة والمترجمة المصطلحات الأجنبية وبجانبها المقابلات العربية إما في متن النص أو في مسارد تدرج في أواخر الكتب.

ليس ثمة من يقول بهجر اللغة الأجنبية ولكن الدعوة ملحة إلى عدم احلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية لغة للعلم والتعليم.

لعل حصيلة ما ذكرناه أن نقرر ضرورة تعريب التعليم تحقيقا لمقاصد وغايات قومية وعلمية وتربوية. انه ليس خيارا من جملة خيارات بل هو الخيار الوحيد.

. من هذا المنطلق ينبغي ألا نناقش فيه من حيث المبدأ والأساس، بل من حيث الوسيلة والتطبيق..

إن المسألة العارضة اليوم ليست انشاء كلية أو جامعة تدرس باللغة العربية بل تحويل عشرات من الكليات الجامعية والمعاهد العليا والمتوسطة التي تضم مئات من الاقسام العلمية من التدريس باحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية إلى التدريس باللغة العربية.

إن هذا التحويل ليس بالأمر الهين اليسير ولذا يحسن أن نواجهه بكثير من الحيطة والأناة ومعالجة شؤونه بكثير من التدبير والتأني كيلا ينقلب نفعه إلى ضرر ويصاب مئات الألوف من طلابنا الجامعيين وهم طلائع أجيالنا الصاعدة بالخيبة والمرارة.

إن الشرط الأساسي في نجاح هذا التحويل أو بالأحرى لجعله عملا مقبولا ومفيدا ومثمرا أن نجعله مدعاة لاكتساب الطلاب المعرفة بمزيد من اليسر وألا يرافقه انتقاص البتة مما كانوا يعطون من معلومات وألا تحجب عنهم مصادر المعرفة وأن يجدوا فيما يلقى عليهم وما يقرؤون اللغة المبينة الميسرة.

إن هذا الهدف ليس صعب المنال وإن كان يقتضي بذل الجهد ومواصلة السعي ولكنه يستحق كل ما يبذل من أجله من جهود وكل ما يواصل من سعي.

إن اللغة العربية من الخصوبة والغنى والقدرة على التعبير والنماء، وفي الوطن العربي من القدرات البشرية والمادية، ما يمكن من الاقدام على هذا التحويل دون وجل أو خوف.

إن أمرين اثنين يعرضان في هذا السياق لانهما من مستلزمات التعريب وأسباب نجاحه وهما:

المصطلح والترجمة:

إن بين التعريب وبين المصطلح والترجمة ترابطا وتكاملا فالتعريب يعتمد على استخدام المقابل العربي للمصطلح الأجنبي وعلى الأخص العلمي منه ولاسيما اننا نعيش في عصر تتفجر فيه المعرفة تفجرا وتدخل لغة العلم كل يوم مصطلحات جديدة يضعها العلماء والمخترعون بلغاتهم القومية. ولذلك فإن كل سعي للتعريب ينبغي أن يرافقه جهد لايجاد المصطلح بالعربية وبالمقابل فإن كل جهد يبذل لايجاد المصطلح وتوحيده بين الأقطار العربية يخدم قضية تعريب التعليم.

أما الترجمة فهي القناة التي تصلنا بمصادر المعرفة والعلم وتعريب التعليم يتطلب أن تنشط ليجد المتعلم بغيته منقولة إلى لغته: كتابا مرجعيا أو منهجيا أو بحثا وبالمقابل فإن حركة الترجمة تعبّد الطريق لتعريب التعليم شريطة أن تكون حركة هادفة تتم وفق تخطيط محكم.

ولسنا نقصد بالإشارة إلى الصلة بين التعريب من طرف والمصطلح والترجمة من طرف آخر أن نعلق أحد الطرفين على الآخر كأن ننتظر حتّى يتم وضع المصطلح بالعربية وتنسيقه وتوحيده وتترجم أمهات الكتب وروائع الفكر كلها إلى العربية حتّى نشرع بالتعريب أو كأن ننتظر أن يشرع بالتعريب كي ننشط في ميداني المصطلح والترجمة.

إن هذه الأمور الثلاثة مترابطة متكاملة يعضد بعضها بعضا. وكم من رجل علم جامعي درّس بالعربية واجتهد في وضع المصطلح وترجم في اختصاصه من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وألف بالعربية، هو نفسه وفي وقت واحد.

أنباء دائرة المعارف الاسلامي

انه لمن الخير أن يباشر التعريب ووضع المصطلح والترجمة بل والتأليف أيضا في آن واحد وبتنسيق مجد حتّى تسد الثغرات وتبلغ الغايات دون وهن أو ابطاء.

قد يقال إن في الأمر صعوبة ولكن نقول إن السباحة لا تعلم في كتاب،نبدأ ثم وخلال العمل نعالج المشكلات ونتغلب على الصعوبات.

وإني لأعتقد أنه من المفيد القاء المزيد من الضوء على مسألتي المصطلح والترجمة لصلتهما الوثيقة بتعريب التعليم.

التعريب والمصطلح :

• إنه لما لاشك فيه أن المصطلح ضرورة ماسة للتعريب ولكننا ينبغي أن نلاحظ أن النص ولو علميا ليس جملة مصطلحات بل هو شرح وتفسير وايضاح إضافة إلى عدد من الألفاظ «الفنية». إن الكتابة عن التلفزيون مثلا : تركيبه ، آليته ، استخدامه ودوره التعليمي والتثقيفي والتربوي شيء ولفظة تلفزيون وحدها شيء آخر. إن استخدام كلمات أجنبية بلفظها لعدم العثور على مقابلات عربية لها ينبغي ألا يؤخر تعريب التعليم أو الترجمة إذ خير لنا أن نستخدم في المحاضرات والكتب المؤلفة أو المترجمة عددا من الألفاظ الأجنبية في انتظار أن نجد لها ما يقابلها بالعربية أو نعربها من أن نعلم ونكتب ونؤلف بلغة أجنبية.

• وجدير بالملاحظة أننا لسنا وحدنا نحن العرب نواجه مسألة المصطلحات ولاسيما العملية منها فإن أكثر اللغات في العالم تواجه هذه المسألة بسبب كثرة المصطلحات التي تستحدث كل يوم للدلالة على الجديد المستكشف. إن اللغة التي من ابنائها العلماء والمخترعون في هذا العصر تغزو اللغات الأخرى بألفاظ جديدة.

إن اللغة الفرنسية نفسها تعاني من دخول ألوف من الألفاظ الانكليزية عليها ويسعى أهلها جاهدين لحمايتها من الغزو اللغوي.

• ونحن لا نواجه موضوع المصطلح أول مرة في تاريخ ثقافتنا فقد سبق أن واجهنا هذا الأمر في القرن الثاني للهجرة في عصر الترجمة الزاهر أيام العباسيين.

لم يخطر للعرب آنذاك وقد وجدوا علوما متقدمة على ما كان لديهم أن يقرؤوا ويتعلموا ويكتبوا باليونانية أو الفارسية أو الهندية بل عمدوا إلى نقل المعارف والعلوم من تلك اللغات إلى اللغة العربية.

يقول الأمير مصطفى الشهابي[4] : «لقد استدعت ترجمة علوم القدماء إلى العربية كالطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والطبيعيات وسواها إيجاد مصطلحات علمية كثيرة للدلالة على الأعيان والمعاني ... وإن المصطلحات العلمية التي أدمجت في لساننا في تلك الأيام هي ألوف مؤلفة من الألفاظ العربية ومئات من الألفاظ المعربة».

مثال ذلك أنهم في مجال الطب قد وضعوا أسماء عربية عديدة كالجراحة والتشريح والكحالة وسموا بعض الأمراض مثل السرطان والخانوق والذبحة والربو والاستسقاء وذات الجنب والبواسير ووضعوا مئات من الألفاظ في أنواع الأمراض وأعراضها وأدويتها ومداواتها وعمدوا أيضا إلى التعريب فقالوا الترياق والقولنج وغير ذلك ...

كانت التجربة فذة وغنية ولكن الجهد كان كبيرا فقد ترجمت بعض الكتب آنذاك أكثر من مرة وعدل في كل مرة عما استخدم في المرة السابقة من مصطلحات وذلك طلبا للدقة وتوخيا لصحة اللفظ والعبارة.

ونتيجة ذلك دخلت المصطلحات التي أوجدها المترجمون والعلماء في ذلك الحين اللغة العربية واندمجت بها واشتملت عليها المعجمات القديمة وصارت صالحة للتعبير عن علوم ذلك العصر بل ماتزال جمهرة من هذه الألفاظ تصلح للتعبير عن علوم اليوم.

---

(4) الأمير مصطفى الشهابي : المصدر نفسه ص 27

لم يكن في ذلك العهد مجامع لغوية أو لجان جامعية أو دوائر معاجم ولذا كان جهد الفرد النابه هو الذي يعوض عن ذلك ويسد مسده. ولم يكن بين الترجمة ووضع المصطلح وسطاء أو فجوات بل كان بينها ترابط وتكامل: الترجمة تقتضي اللفظة الدالة ومتى وجدت هذه اللفظة يسرت للترجمة أن تسلك طريقها.

لم يكن عمل هؤلاء عشوائيا البتة بل اتبعوا في العثور على المصطلح طرائق مختلفة:

1) تضمين الكلمة العربية معنًى جديدا غير معناها السابق.

2) اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية أو معربة.

3) ايجاد مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بمعانيها.

4) تعريب كلمات أجنبية واعتمادها.

إن هذه الطرائق قد أعطت نتائج مفيدة وهي طرائق ماتزال صالحة اليوم لايجاد المصطلحات التي نحتاج إليها.

وفي العصر الحديث وافق حركة التعريب وحركة الترجمة سعي حثيث لايجاد المصطلحات ووضع الموسوعات والمعاجم حرصا على جعل اللغة العربية تستوعب المعارف الجديدة.

وقد بدأ هذا السعي في النصف الأول من القرن الماضي ومازال متصلا حتّى اليوم. ونستطيع أن نلاحظ أن هذا السعي قد تمثل بجهود أفراد في البداية ثم تناولته المؤسسات بالعناية والاهتمام.

وإذا ذكرنا جهود الأفراد، كان لابد لنا من ذكر هؤلاء الرواد الذين قاموا بالتدريس في الكليات العلمية بمصر والشام أمثال من أوردنا أسماءهم في معرض الحديث عن التدريس بالعربية في قصر العيني بالقاهرة والكلية الأمريكية في بيروت إذ بذلوا جهدا حميدا في وضع المصطلح لأن هذا الجهد لا ينفصل أصلا عن تعريب التعليم والترجمة. ونضيف إلى تلك الأسماء الأستاذ محمد عمر التونسي صاحب «معجم الشذوة الذهبية في الألفاظ الطبية» والأستاذ ابراهيم الدسوقي الضليع بالمصطلحات الرياضية وبطرس البستاني صاحب «محيط المحيط» و«دائرة المعارف» والشيخ ابراهيم اليازجي الذي تنسب إليه ألفاظ: الدراجة والمجلة والحساء والمقصف واللولب وسليمان البستاني مترجم الالياذة وأحمد فارس الشدياق ويعقوب صروف صاحب المقتطف الذي تنسب إليه ألفاظ: الغواصة والدبابة والرشاش والنواة والكهرب.

وكذلك أسهم أساتيذ كلية الطب في جامعة دمشق منذ انشائها في وضع المصطلح. يقول الدكتور عزة مريدن(5) عن تلك الفترة: «انشئ المعهد الطبي بدمشق عام 1919 وجل أساتذته ممن درسوا الطب باللغة التركية وكان عليهم جميعا أن ينفذوا برغبة ووطنية مشيئة القومية العربية التي تلزمهم بتدريس الطب بلغة أهل البلاد فشمروا عن ساعد الجد ونبشوا بطون الكتب القديمة ونفذوا إلى صميم المعاجم المختلفة وأخذوا يضعون المصطلحات الطبية وما هي إلا بضع سنوات حتّى كان كل أستاذ قد وضع مؤلفا في الفرع الذي وسد أمره إليه».

وقد وضع بعض النابهين معاجم عامة أو معاجم متخصصة في فروع علمية متعددة لكي تعين على التعريب والترجمة والتأليف. ومن هذه المعاجم العامة معجم كازمرسكي ومعجم دوزي بالفرنسية والعربية ومعجم لين ومعجم بادجر بالانكليزية والعربية ثم معجم بيلو والمنهل لواضعيه سهيل إدريس وجبور عبد النور والمورد لواضعه الأستاذ منير البعلبكي وغيرها كثير. ومن المعاجم المتخصصة في ميدان العلوم معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف 1928 ومعجم المصطلحات الطبية كثيرة اللغات (كليرفيل) نقله إلى العربية الدكاترة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي 1956 وقاموس حتي الطبي 1967 ومعجم

(5) عزة مريدن: من محاضرة القاها في دار الحكمة بالقاهرة عام 1958

مصطلحات تعويض الأسنان وميشيل الخوري 1970 والمعجم الطبي الصيدلي الحديث للدكتور علي محمود عويضة 1970 والمعجم الفلكي لأمين معلوف 1935 ومعجم أسماء النبات لأحمد عيسَى 1949 ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفَى الشهابي 1943 ومعجم المصطلحات الجراحية للشهابي أيضا 1962 والمعجم الكهربائي الالكتروني أصدرته وزارة الدفاع السورية 1978 ومعجم المصطلحات البترولية والصناعية النفطية لأحمد شفيق الخطيب. وفي ميدان العلوم الاجتماعية القانون والاقتصاد : صدر المعجم القانوني للأستاذ حارث سليمان الفاروقي 1962 والمعجم العلمي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية للأستاذين يوسف شلالة وفريد فهمي ، وفي ميدان العلوم الانسانية صدر المعجم الفلسفي للأستاذ يوسف كرم والمعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ومعجم المصطلحات الديبلوماسية للدكتور مأمون الحموي 1949 ومعجم المصطلحات الجغرافية أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة 1965 ومعجم المصطلحات الأثرية للأمير يحي الشهابي 1967 ومعجم مصطلحات الفنون للأستاذ عفيف بهنسي 1971 ومعجم المصطلحات الحديثة للدكتور نور الدين عتر 1977 ... الخ.

هذا عرض لبعض ما صدر من معاجم عامة ومتخصصة وهي ثمرة جهود أفراد بذلوا جهودا مضنية لاعدادها ونشرها إلا أن زادهم كان حبهم للعربية وحرصهم على أن تصبح لغة العصر ولغة التأليف والترجمة والتدريس في جميع مراحل التعليم بما فيه التعليم العالي.

وأما جهود المؤسسات في هذا المضمار فتتمثل فيما قامت به مجامع اللغة العربية والجامعات وجامعة الدول العربية والاتحادات المهنية والهيئات الدولية.

إن مجمع اللغة العربية بدمشق ــ وكان يسمَّى المجمع العلمي العربي ــ قد تأسس عام 1919 واتخذ من المدرسة العادلية مقرا (نقل منذ ثلاثة أعوام إلى مبنًى جديد يقع غربي المالكي) وضم إليه اشرافا ورعاية دار الكتب الظاهرية المشهورة.

لقد عمل المجمع ومازال على جمع المخطوطات النفيسة وتحقيق الكتب الأدبية والتاريخية واللغوية وغيرها وتدقيق المصطلحات ونشر البحوث اللغوية في المجلة التي يصدرها باسمه.

إن هذا المجمع يعتبر المرجع الأساسي المسؤول عن المصطلح في سورية ومن غاياته : «البحث في علوم اللغة العربية والحرص على سلامتها وجعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة» وقد كان لأعضائه الذين هم جامعيون ومجمعيون في آن واحد الفضل في التدريس بالعربية في معهدي الطب والحقوق منذ نشأتهما ثم في كليات الطب والعلوم والهندسة على اختلاف أنواعها في جميع الجامعات في سورية.

وأما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد انشئ عام 1932 والقاهرة إذاك قبلة انظار المثقفين العرب وقد جعل غايته الحفاظ على اللغة العربية ومعالجة قضاياها. وقد وضع هذا المجمع بجهد لجانه مئات المصطلحات وحقق عددا كبيرا من الألفاظ التي وضعها غيره.

ومن المهم أن نشير إلى أنه أقر مناهج ووضع أصولا ومبادئ لوضع المصطلح وقد صدر قسم مما أقره المجمع من المصطلحات في خمسة عشر مجلدا أو جزءا ووضع «المعجم الوسيط» في جزأين ، ومعجما لألفاظ القرآن الكريم وشرع في تصنيف معجم كبير وله مجلة ثرية.

ولعل ما جعل أعمال هذا المجمع نظرية أكثر مما هي عملية أن المصطلحات التي أقرها أو وضعها لم تستخدم في التدريس الجامعي الذي مازال يؤدى في مصر بالانكليزية في الكليات العلمية.

وكان نشوء المجمع العلمي العراقي في بغداد عام 1947 وما برح هذا المجمع منذ نشأته حتَّى اليوم يعمل بنشاط لتحقيق الهدف الأول من أهدافه وهو العناية

بسلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطاليب الآداب والعلوم والفنون وشؤون الحياة العصرية ، وله مجلة تنشر بحوثه العلمية واللغوية .

وقد أولى مجمع بغداد المصطلح العلمي عناية خاصة فاقر واقترح أعدادا كبيرة من المصطلحات في العلوم المختلفة طبع منها : مصطلحات صناعة النفط 1958 ومصطلحات علم الجراحة والتشريح 1968 ومصطلحات علم الولادة 1968 ومصطلحات علم المياه 1970 — 1976 (سبعة أجزاء) مصطلحات في الالكترون 1959 مصطلحات في التربية البدنية 1961 مصطلحات في سكك الحديد 1962 مصطلحات في علم التربية 1960 وفي علم الفضاء 1959 ومصطلحات القانون الدستوري 1958 وغير ذلك .

وآخر المجامع التي تم إحداثها هو مجمع اللغة العربية في الأردن بعمان إذ أحدث عام 1976 وقد خط هذا المجمع لنفسه دربا جديدا في سبيل الغاية المشتركة وهي خدمة اللغة العربية صياغة واغناء . ذلك أنه قرن الموضوعات الثلاثة الترجمة ووضع المصطلح والتعريب في مشروع واحد فتبنّى ترجمة جملة من المؤلفات العلمية المهمة التي تصلح للتدريس في كلية العلوم وهي في موضوعات : الرياضيات والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والفيزياء الحديثة وبالفعل تمت ترجمة هذه الكتب وتم صدورها تباعا وذيل كل منها بقائمة المصطلحات التي استخدمها الأساتذة المترجمون . ولكن يبدو أن الهدف النهائي لهذا المشروع وهو اعتماد هذه الكتب المترجمة في التدريس لم يتحقق .

وبالإضافة إلى هذا المشروع أصدر المجمع الأردني رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها عام 1979 ومصطلحات التجارة والاقتصاد في العام نفسه ومصطلحات عسكرية يكمل بها المعجم العسكري ... الخ .

هذا وأقامت المجامع اللغوية الأربعة في البلدان العربية اتحادا يجمع بينها ولاسيما انها متشابهة الأهداف والأساليب . وقد عقد الاتحاد ندوته الأولى بدمشق ونتج عنها توحيد مصطلحات في القانون صدرت عام 1972 وندوة ثانية في بغداد نتج عنها توحيد مصطلحات البترول صدرت عام 1973 وندوة ثالثة في الجزائر نظرت في مشكلة تدريس النحو وندوة رابعة في عمان موضوعها : تعليم اللغة العربية خلال ربع القرن الأخير...

وأما الجامعات فإن لها دورا أساسيا في وضع المصطلح ولاسيما الجامعات التي تعمل لتعريب التدريس فيها . وقد تشكلت في كثير من الجامعات العربية تلبية لدعوة مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط لجان للتعريب تشارك في جمع المصطلحات وتزود المكتب بها .

وقد عقد اتحاد الجامعات العربية مؤتمرا للتعريب في دمشق 27 / 4 — 1982/5/3 ألقيت فيه بحوث مهمة .

ومن الجدير بالذكر أن وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية قد تولت ترجمة واصدار عدد كبير من المراجع العلمية الجامعية لتكون مجال توسع للأساتذة والطلاب في اختصاصاتهم وألحقت بكل كتاب قوائم بالمصطلحات المستخدمة في ترجمته .

وعلى النطاق القومي نطاق جامعة الدول العربية ينهض مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط بمسؤولية تنسيق المصطلح العربي وتوحيده بعد اقراره من قبل المؤتمرات التي يدعو إلى عقدها .

انبثق هذا المكتب عن مؤتمر عقد في الرباط عام 1961 وأوكل إليه تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب تحت اشراف جامعة الدول العربية ووافقت الدول العربية على إحداثه وجعلت مقره الرباط والتزمت بتمويله .

وتطبيقا لذلك نظم المكتب دورة أولى لمجلس تنفيذي له عام 1962 وأصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول

العربية ثم ألحق عام 1973 بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

لقد دعا المكتب حتّى الآن إلى عقد أربعة مؤتمرات الأول في الرباط عام 1969 وضعت فيه الخطة العامة والثاني ، في الجزائر عام 1973 أقرت فيه معاجم التعليم العام في المواد التالية : الفيزياء ، الرياضيات ، الكيمياء والجيولوجيا النبات الحيوان والمؤتمر الثالث عقد في طرابلس عام 1977 أقرت فيه معاجم الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفلك والصحة والاحصاء للتعليم العام والرياضيات والفلك للتعليم العالي وعقد المؤتمر الرابع في مدينة طنجة بالمغرب عام 1981 درست فيه معاجم التعليم المهني والتقني في موضوعات الكهرباء والنجارة والطباعة والبناء والتجارة والمحاسبة والميكانيك ووسائل الانتاج ومعاجم التعليم العالي في الجيولوجيا والنفط والحاسبات الالكترونية .

والمكتب جاد لاستكمال خطة في انجاز معجمات المراحل التعليمية جميعها ومثابر على نشر مشروعات معاجم واصدار مجلته المعروفة : اللسان العربي .

ومن المفيد ذكر المنهجية التي يتبعها المكتب والتي تقوم على الأسس التالية[6] .

1) جمع المقابلات العلمية العربية للمصطلح الأجنبي التي وضعتها المجامع اللغوية والجامعات والمختصون والمعجميون في الوطن العربي والتنسيق بينها لمعرفة ما اتفق عليه منها وما اختلف فيه ومقارنتها مع مصطلحات التراث .

2) عقد ندوات مصغرة للمختصين العرب لمراجعة المصطلحات العربية ومقارنتها مع مقابلاتها الأجنبية في ضوء مدلولاتها العلمية .

3) استكمال النقص في المصطلحات العربية وذلك بتتبع ما يصدر من المعاجم العلمية والتقنية في البلدان المصنعة في أوروبا وأمريكا وما يستجد في مجالات الاختصاص .

4) الاعداد لمؤتمرات التعريب للنظر في المصطلحات المنسقة وتوحيدها واقرارها وتعميم استعمالها في جميع أقطار الوطن العربي .

وتطبيقا لهذه الأسس يتم العمل في المكتب على الشكل التالي :

1) يقوم الباحثون في المكتب بجمع الكتب المدرسية الانكليزية والفرنسية التي تستعمل في تدريس موضوع الطباعة مثلا في الأقطار العربية وفي بعض الأقطار الغربية وذلك بالإضافة إلى ما يصدر بلغات أجنبية من معجمات في الموضوع .

2) تستخلص من هذه الكتب جميع المصطلحات العلمية والتقنية ذات العلاقة .

3) يصنف مسردان أو قائمتان إحداهما بالانكليزية والأخرى بالفرنسية للمصطلحات المستخلصة .

4) تعقد ندوة مصغرة من المختصين والمدرسين لمراجعة المسردين والتأكد من علاقة المصطلحات المدرجة فيها بموضوع الطباعة واستكمال ما ينقصها من مصطلحات .

5) تجرد جميع كتب التراث والمعاجم والكتب المدرسية والمطبوعات ومنشورات المعاجم العلمية وغيرها من الهيئات اللسنية في الوطن العربي للبحث عن المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية المتجمعة .

6) يصنف مشروع معجم ثلاثي اللغة (عربي – انكليزي – فرنسي) بهذه المصطلحات .

7) ترسل نسخ من مشروع المعجم هذا إلى لجان التعريب في الأقطار العربية وإلى المجامع العلمية والمؤسسات التربوية كما ينشر في مجلة «اللسان العربي» من أجل

(6) الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب من بحث قدمه لمؤتمر التعريب بدمشق لعام 1982 .

الحصول على آراء المختصين وتعليقاتهم وردودهم .

8) تنسيق جميع الردود والتعليقات وتعقد ندوة للمختصين في الموضوع لمناقشة محتويات مشروع المعجم تمهيدا لعرضه على مؤتمر التعريب .

9) يقدم مشروع المعجم إلى مؤتمر التعريب لدراسته واقراره وتعميم استعماله في جميع أقطار الوطن العربي .

هذا ومنذ سنوات بدأت الاتحادات المهنية تبذل جهودا في هذا الميدان ومثال ذلك أن اتحاد الأطباء العرب قد أصدر عام 1973 باكورة عمله المعجم الطبي الموحد (انكليزي – عربي) وهو من صنع لجنة ألفها . وتعمل اللجنة الآن على اغناء هذا المعجم وتعديله في المعجم الجديد الذي تقوم باعداده (انكليزي – فرنسي – عربي) ...

وفي اعتقادي أن دور هذه الاتحادات ينبغي أن يكون أكثر فعالية في هذا الميدان لأنها تملك حركة التحرك والقدرات البشرية والمالية مما يتيح لها أن تنجز أعمالها بنجاح وسرعة .

وقد اسهمت المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بعمل في المصطلح العربي فاصدرت معجمين : الأول معجم مصطلحات المؤتمرات ط 2 . منقحة 1980 (عربي فرنسي انكليزي بالتناوب) ومعجم مصطلحات تربوية المكنز التربوي وهو معروض على الدول العربية للفحص وابداء الرأي .

وبعد كل هذا الذي عرضناه من أمر المصطلح ماذا نرَى فيما تم انجازه طيلة هذه المدة ؟

1 – انها لجهود هائلة تلك التي بذلت في وضع المصطلح وتنسيقه وتوحيده عن طريق الاجتهاد الفردي أو طريق التشاور في لجان ومؤتمرات وسواء اظهرت هذه المصطلحات في قوائم مستقلة أو بشكل مسارد في أواخر الكتب المترجمة أو في مشروعات معجمية تطرح للدرس أو في معاجم من وضع أفراد أو مؤسسات .

2 – يلحظ الترابط والتكامل بين تعريب التعليم والمصطلح من حيث حاجة كل منهما إلى الآخر واستناده إليه إذ لا ينجح تعريب بلا مصطلح ولا يحيا مصطلح إلا باستخدامه في التدريس وإلا فإنه يظل حبيس الصدور والسطور . قال أحد الباحثين[7] : «إن قدرة اللغة العربية أو عجزها عن أداء مفاهيم جديدة مرتبط أشد الارتباط بالاستعمال الفعلي في التعبير عن هذه المفاهيم أي بتنفيذ التعريب وتطبيقه ...» كما يلحظ الترابط والتكامل في عمل النخبة الجامعية المعجمية التي تمارس التدريس بالعربية وتعمل في الوقت ذاته على وضع المصطلح واشاعته .

3 – لم تكن الجهود تتم وفق خطة مرسومة حددت فيها الأهداف والوسائل والمراحل ولذلك جاءت الأعمال المنجزة متفاوتة في نوعها ونوعيتها : من حيث النوع بذل في حقل علم ما من العلوم من الجهود أكثر بكثير مما بذل في حقل علم آخر ومن حيث النوعية فإننا في حين نجد معاجم متميزة بالاتقان والجودة والدقة نجد بعض المعاجم ولاسيما ما وضع منها في بداية النهضة يختلط فيها الغث والسمين والفصيح والعامي .

4 – يلاحظ أن هذه الأعمال يشوبها التشوش وتفتقر إلى الانسجام والوحدة فلم تتكافأ مع ما بذل فيها ومن أجلها . إنها لم تكن تتبع منهجا واحدا : بعضها يؤثر النقل أي ترجمة اللفظ الأجنبي إلى لفظ عربي يقابله في حين يميل بعضهم إلى التعريب أي لفظ العرب الكلمة الأجنبية على طريقتهم مع اختلاف في الاعتماد على الاشتقاق والمجاز والنحت وتطبيق ذلك في ايجاد المصطلح الملائم . يقول أحد الباحثين[8] : «إن عملنا في التعريب

(7) عبد العزيز عاشوري : اللغة العربية والهويه الثقافية وتجارب التعريب المستقبل العربي أيار 1981

(8) الدكتور شكري فيصل : بحث عن المؤتمر والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم العالي مؤتمر تعريب بدمشق 1982 ص 52 .

يقترب أن يكون واحات منفصلة متباعدة على الأرض العربية العريضة لا تتواصل ولا تتكامل ...» .

ومع ذلك كله ومادام تعريب التعليم الجامعي أمر تتجه إليه العقول والقلوب ومادامت لغتنا القادرة الثرية عنوانا يدل على هويتنا القومية وذاتنا الانسانية فان موضوع المصطلح سيجد الحل وهو آت في ركاب التعريب في سياقه .

إن كل جهد بذل في هذا السبيل لم يذهب سدى ولكن خطة محكمة تحدد فيها: الهدف والوسيلة والمنهجية ومدد التنفيذ ونوفر لها الامكانات البشرية والمالية كفيلة بايصال السفينة شاطئ السلامة مع الإشارة إلى أن وضع المصطلح لن يقفل بابه بل سيبقى مفتوحا دوما لتحسين مصطلح لم يحسن اختياره ومواجهة الوافد الذي لن ينقطع من المصطلحات .

التعريب والترجمة :

إن تعريب التعليم بكل مستوياته وتخصصاته من شأنه أن يوجد حركة ترجمة وأن يزيدها نشاطا وفعالية إن كانت قائمة لانها توفر له الكتاب الذي هو من مستلزماته والأداة اللازمة للتعليم والتعلم ومن طرف مقابل — إذا وجدت حركة ترجمة ناشطة وهادفة شجعت على تعريب التعليم وساعدته عليه .

إن التعريب يجد في الترجمة مدده وغذاءه والترجمة تجد في التعريب أثرها وجدواها .

ولسنا نواجه الحاجة إلى الترجمة من اللغات الأخرى لأول مرة في تاريخنا ذلك أن العرب في السابق عرفوا حركة ترجمة واسعة النطاق بقصد اكتساب العلوم والمعارف من اللغات الأخرى بل لعل العمل الذي نهضوا به هو الأول من نوعه في تاريخ البشر بدؤوه أيام بني أمية ونشط في العصر العباسي وقد تميزت تلك الحركة بثلاث صفات .

1 – تعدد مصادرها : ترجم العرب عن الهندية ولاسيما ما يتعلق بالحساب والأرقام وممن ترجم منها منكة الهندي ومن الفارسية وممن ترجم منها ابن المقفع وآل نوبخت ولكن المصدر الرئيسي الذي ترجموا منه وغرفوا من معينه هو المؤلفات اليونانية نقلوها مباشرة أو عن السريانية وممن ترجم منها حنين بن اسحق العبادي ويوحنا بن ماسويه وثابت بن قرة الحراني ويحيى بن عدي وآخرون .

2 – اتساعها : شملت حركة الترجمة في القرنين الثاني والثالث للهجرة شتّى المعارف والعلوم : الرياضيات والفلك والفلسفة والمنطق والطب والكيمياء والهندسة والسياسة المدنية . أما الأدب فلم يترجموا منه إلا القليل مثل كتاب كليلة ودمنة ولم ينقلوا الأدب اليوناني لمخالطته الأساطير الدينية من جهة ولاعتزازهم بأدبهم شعره ونثره من جهة أخرى .

3 – تنظيمها : بدأت الترجمة في عهد بني أمية بفضل خالد بن يزيد وترجمت في هذا العهد بعض كتب الكيمياء والطب إلا أنها نشطت أيام الدولة العباسية : أنشأ المنصور ديوان الترجمة فوسعه الرشيد ثم جاء المأمون فنظم هذا النشاط العلمي وأنشأ بيت الحكمة فكان بمثابة مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة أقام فيه طائفة من المترجمين أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال .

لقد كانت حركة الترجمة هذه السبيل إلى اطلاعهم على معارف ذلك العصر فنقلوها إلى اللسان العربي وتمثلوها فكانت منطلقهم إلى الكشف والابداع .

وماذا نجم عن حركة الترجمة هذه ؟ حسبنا أن نذكر بعض الأسماء فتدلنا على ما قدمه العرب للثقافة الانسانية بعد أخذ واقتباس نذكر الكندي وابن يونس والبيروني وابن الهيثم في الفيزياء والبصريات وياقوت وأبا الفداء والادريسي في الجغرافيا وجابر بن حيان في الكيمياء والخوارزمي والطوسي والكاشي في الرياضيات وأبناء موسى في الفلك وابن البيطار في الزراعة والرازي وابن سينا وابن النفيس في الطب والفارابي وابن رشد في

الفلسفة وابن خلدون في التاريخ وعلم العمران وغيرهم كثير.

ومرة ثانية نشطت حركة النقل إلى العربية وهاهي منذ قرن ونصف منشط ثقافي مهم ووسيلتنا للاطلاع على الثقافات الأخرى.

وثمة سؤال ملح: هل استطاعت الترجمة في هذا العصر أن تفي بحاجاتنا في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفنية وأن تزود القارئ والمتعلم والباحث بما يمكنه من الاطلاع على ثقافة هذا العصر ويهيئ له أن يشارك في صنعها؟

إذا أردنا أن نصل إلى جواب حول هذا الموضوع لابد لنا من أن نلقي نظرة فاحصة على واقع الترجمة: مؤسسة ومترجما وكتابا.

مؤسسات الترجمة:

بدأت الترجمة في القرن الماضي ومازالت في جزء كبير منها بمثابة مبادرات فردية وكانت صلتها بالمصطلح وتعريب التعليم واشجة وفيما بعد نشأت مؤسسات تعنى بالترجمة والنشر وحدهما أو بهما وبالتأليف معا.

وتنقسم المؤسسات الوطنية إلى فئتين: فئة المؤسسات الخاصة وفئة المؤسسات الحكوميه. إن المؤسسات الخاصة هي دور النشر التي تعمل في هذا المضمار بمثابة نشاط ثقافي اقتصادي يبتغي الربح مثل دار دمشق في سورية والدار العربية للكتاب وهي دار تونسية ليبية وأما المؤسسات الحكومية فهي إدارات أحدثتها وزارات الثقافة أو التربية أو الاعلام أو التعليم العالي أو الجامعات مثل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

وهناك مؤسسات أجنبية وخارجية عنيت بالترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية وبالعكس ومن هذه المؤسسات مؤسسة فرانكلن الامريكية ودار ليدبيرغ ولنغانز البريطانيتين ومؤسسات ترجمة سوفيتية.

ولمنظمة اليونسكو العالمية نشاط في هذا الميدان ضمن برامجها: ترجمة المؤلفات الأدبية المكتوبة بلغات قليلة الانتشار إلى اللغتين الانكليزية والفرنسية ترجمة الكتب حول الاتجاهات الجديدة في تدريس العلوم، الشعراء في العالم مداخل إلى الآداب الشرقية.

ولا يظنن ظان أننا نحن العرب معنيون بالترجمة وحدنا دون سوانا رغبة في نقل المعارف ولاسيما العلوم والتكنولوجيا وتوطينها في بلادنا ذلك أن جميع الأقوام تحتاج للترجمة وتعنى بها لأن التنافس في الميدان العلمي بشكل خاص يحمل كل دولة من الدول على الترجمة لمعرفة ما يكتب باللغات الأخرى غير لغتها. وتختلف نسبة ما يترجم من لغة حسبما كتب بها من مؤلفات يحتاج الآخرون إليها، فقد ترجم عام 1973 من الانكليزية إلى غيرها من اللغات 18،350 عنوانا ومن الفرنسية 5،993 ومن الروسية 5،113 ومن الألمانية 4،277 ومن الاسبانية 1،368 ومن الايطالية 1،136 ...

وتبلغ نسبة المترجم إلى المطبوع مؤلفا ومترجما معا حوالي 9٪ في العالم في حين أن هذه النسبة غير متوفرة في البلدان العربية.

وثمة أمور جوهرية تتصل بعمل المؤسسات ولاسيما الوطنية وعلى رأسها أمران هما: اختيار الكتاب المراد ترجمته وحقوق المؤلف والمترجم.

إن اختيار الكتب للترجمة هو حجر الزاوية ونقطة الانطلاق. فأي كتاب نختار كي يكون العمل مجديا؟ إن الاختيار يتم عادة من قبل إدارة المؤسسة المختصة حينا أو من قبل خبير أو لجنة حينا آخر ثم يجري تكليف المترجم بواسطة مراسلة أو عقد أصولي وبعد انجاز الترجمة يجري فحص المخطوط والنظر في أمر مراجعته.

إن الانتاج الفكري في العالم المتقدم قد بلغ من حيث الكيف والكم حدا معجزا ولذا يتوجب عند الاختيار مراعاة ما يلي:

1) ترجيح ما يلبي حاجة أساسية لدى فئة من فئات

القراء أو يلبي متطلبات التقدم والرقي اللذين ينشدهما المجتمع العربي .

2) الحداثة ولاسيما بالنسبة للكتب العلمية لأن لهذه الكتب أعمارا تقصر باستمرار بسبب التطور السريع الذي يلحق بها نتيجة البحوث الجديدة والكشوف المتلاحقة .

3) التوازن بين الأنواع كيلا نغفل نوعا نحن بحاجة إليه مع وضع سلم أولويات لأنواع الكتب التي نترجمها مع مراعاة تعدد المصادر واللغات المترجم منها كيلا نقف عند مصدر واحد أو لغة واحدة .

أما حقوق التأليف والترجمة فهي من الأمور التي تتصل بعمل مؤسسات الترجمة والنشر والتي لم تجد حلا مناسبا حتّى اليوم .

لقد أحسنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضعها «الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف» التي أقرها مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي المنعقد في دورته الثالثة ببغداد عام 1981 . وقد وقعت مجموعة من الدول العربية هذه الاتفاقية والمأمول أن توقعها الدول الأخرى .

أما بالنسبة للاتفاقيات الدولية فالوضع مختلف إذ ان بعض الدول العربية قد وقعت هذه الاتفاقيات وتراعي في عملها حقوق المؤلفين والناشرين عند اعتزامها ترجمة كتب أجنبية وبعضها لا يراعي ذلك ولابد أن يجد هذا الموضوع حلا موحدا ملائما .

المترجمـون :

إن الكتاب المراد ترجمته إذا أحسن اختياره احتاج إلى المترجم المجيد لينقله إلى اللغة العربية فرب كتاب مترجم يضاهي الأصل معنًى ومبنًى ومترجم حاد عن الأصل فصار صورة شوهاء عنه .

إن المترجم المجيد ينبغي أن يتصف بالأمانة في النقل والدقة في اختيار اللفظ ووضع المصطلح الصحيح موضعه والايضاح في التعبير والسرعة في الانجاز .

إن المترجم ينبغي أن يكون متقنا اللغة العربية التي ينقل إليها صرفا ونحوا وحسن بيان وأن يكون متقنا اللغة الأجنبية التي ينقل منها وأن يكون مختصا في المادة العلمية المترجمة في الترجمة العلمية وأن يكون أديبا أو ذواقة للأدب في الترجمة الأدبية .

وثمة شرط هو سر النجاح في الترجمة بوصفها انتاجا فكريا يداني التأليف ويقارب الابداع ألا وهو الميل الشخصي إلى ممارسة الترجمة فلا يؤديها المترجم عن اضطرار أو خجل أو وجل بل المهم أن ينصرف إليها مختارا منشرح النفس فييسر له قيادها ويسهل عسيرها .

إن الترجمة ليست تنكرا للموروث من الثقافة بل هي اغناء له وليست انسلاخا من الأصالة بل هي تأصيل الجديد . ان مثقفا لا يعيش عصره ولا يؤمن بالتعاون والتواصل بين البشر ولا يتمتع بفكر متفتح خلاق لا يستطيع أن يكون مترجما بل لا يقدر أن يكون قارئا ومستفيدا .

إننا ونحن نتحدث عن الترجمة ينصرف حديثنا عادة إلى ترجمة المؤلفات من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وهو ما درجنا على تسميته التعريب ولكن الحديث يشمل ، بشكل ما ، ترجمة روائع الفكر العربي قديمه وحديثه إلى اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار كالانكليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والألمانية ، وهو ما درجنا على تسميته «التعجيم» .

إن حركة الترجمة ينبغي أن تتحرك في مسارين ، بوقت واحد مسار التعريب ومسار التعجيم . وإذا كان الداعي إلى التعريب الرغبة في الاطلاع على ثمار الفكر والثقافة المعاصرين في البلدان المتقدمة ولاسيما في مضمار العلوم والتقنيات ، فإن الداعي إلى التعجيم أن نقدم أنفسنا بصورتنا الحقيقية إلى العالم : صناع ثقافة وبناة

حضارة وأرباب قلم ، فيما سبق من الزمن وفي الوقت الحاضر ، كيما نصحح الصورة المشوهة الزائفة التي يلصقها الآخرون بنا بدوافع قديمة وجديدة لا مجال لذكرها والتوسع فيها في هذا المقام .

ولحركة التعجيم بدايات طيبة تنهض بها مؤسسات عربية حينا ومؤسسات أجنبية حينا آخر كما تنهض بها منظمة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ولكن هذه الحركة مثلها مثل حركة التعريب بحاجة إلى مزيد من التخطيط والتنسيق والتنشيط .

سؤال يطرح : هل في الوطن العربي مترجمون مجيدون أقصد من يتولون الترجمة الثقافية والعلمية ؟ قلة فيما أعتقد بالنسبة إلى العدد المطلوب لمواجهة عملية النقل على قدر الحاجة والمطموح .

ليس كل من حاول الترجمة ثبتت كفاءته فقد أحصت إحدى مؤسسات الترجمة المترجمين الذين تعاونوا معها فبلغ عددهم (163) مترجما ولكن بعد تفحص انتاجهم تبين أن 75 منهم قادرون على حسن الأداء أي بنسبة 45٪ .

كيف نعمل حتّى نصل إلى العدد المطلوب والقادر على النهوض بالمهمة ؟

ثمة أمور يمكن الأخذ بها أو منحها المزيد من العناية :

1) العناية بتدريس اللغات : العربية والأجنبية في المدارس على اختلاف درجاتها .

2) العناية بمعاهد الترجمة وبفروع الترجمة أو أقسامها في الجامعات ذلك أن بعضا من خريجي هذه المعاهد والفروع والأقسام يمكنهم أن يترجموا بنجاح كتبا في التاريخ والاقتصاد والأدب والتربية إذا اجتمع لهم مع الاعداد ميل وموهبة .

إن إعدادهم للترجمة الفورية أو الترجمة الكتابية : الادارية أو الاعلامية لا يحول دون مباشرتهم الترجمة الثقافية إذا أهلوا أنفسهم لها بالاجتهاد والممارسة .

ولابد من الإشارة ونحن في صدد الحديث عن المترجمين إلى أن ما يدفع لهم من أجور باسم تعويضات أو جوائز أو مكافآت لقاء ما يؤدون من عمل مايزال غير مجز ودون الحد المطلوب ولاسيما انهم يقومون بعمل الترجمة في أوقات راحتهم لأنهم غير متفرغين لها .

إن زيادة هذه الأجور وإعادة النظر فيها سنة بعد سنة مراعاة لتكاليف المعيشة وتقديم جوائز تشجيعية وتقديرية للمترجمين المجيدين مما يساعد على تجويد الانتاج .

ويظل هدفا واجب التحقيق أن يتفرغ المترجمون لعمل الترجمة وتكفل المؤسسات المعنية حياة كريمة لهم .

إن النظرة إلى عمل المترجم الثقافي والعلمي ينبغي أن تتبدل فإن الترجمة تحتاج إلى مؤهلات ومواهب لا تقل عما يحتاج إليه التأليف .

ولابد من العمل على تشكيل جمعية أو اتحاد أو رابطة في كل قطر عربي للمترجمين وبعدها يعمد إلى تشكيل اتحاد عربي عام ، يرقّى بمستوى العمل ويدافع عن الحقوق ويسهم في خدمة الثقافة العربية .

الكتاب المترجم :

ليس لدينا إحصاء شامل عما تمت ترجمته من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية في هذا العصر أي منذ قرن ونصف حتّى اليوم وإن كان من متطلبات الخطة القومية للترجمة الوصول إلى مثل هذا الاحصاء ولكن بعض الاحصاءات المتوافرة تقدم لنا دلالات مهمة تنير السبل إلى الأفضل .

لقد دل إحصاء بيبليوغرافي قامت به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عما ترجم خلال إحدى عشرة سنة 1970 ــ 1980 أن عدد الكتب المترجمة هو 2840 كتابا موزعة كما يلي :

المملكة الاردنية الهاشمية	22
دولة الامارات العربية المتحدة :	02
الجمهورية التونسية	40

الجمهورية الجزائرية	16
المملكة العربية السعودية	07
جمهورية السودان الديمقراطية	09
الجمهورية العربية السورية	442
الجمهورية العراقية	258
سلطنة عمان	005
فلسطين	005
دولة قطر	003
دولة الكويت	95
الجمهورية اللبنانية	152
الجماهيرية الليبية	044
جمهورية مصر العربية	1758
المملكة المغربية	002
المجموع	2840

ونلاحظ من هذه المعطيات أن ثمة تفاوتا كبيرا في عدد الكتب التي ترجمت في هذا القطر أو ذاك تأتي جمهورية مصر العربية في المقدمة بنسبة 62٪ وتليها الجمهورية العربية السورية بنسبة 17٪ ثم الجمهورية العراقية بنسبة 9٪ فالجمهورية اللبنانية بنسبة 5،4٪ ...الخ. كما نلاحظ أن عدد الكتب المترجمة الكلي هو دون الحد المطلوب سواء بالقياس إلى عدد السكان أو بالقياس إلى الحاجات الفكرية والثقافية ولعل من الأسباب الوجيهة في هذا النقص أن التعليم الجامعي مازال في أكثر البلدان العربية غير معرب ولاسيما في الكليات والأقسام والمعاهد العلمية والتقنية. مما أدّى إلى العزوف عن ترجمة الكتب المنهجية والمرجعية الموسعة والبحوث والدراسات العلمية إلا في حدود ضيقة وفي بعض الأقطار العربية دون غيرها لأن المدرس والدارس يجدان بغيتهما باللغة الأجنبية عندما يكون التعليم غير معرب.

وإذا نظرنا إلى الجدول البيبليوغرافي السابق من زاوية أنواع المعارف المترجمة نجد التالي:

المعارف العامة	22		
الفلسفة	165	الفنون الجميلة	93
الديانات	235	الآداب	1022
العلوم الاجتماعية	560	التاريخ والجغرافيا	315
اللغويات	020	المجموع	2840
العلوم الأساسية	224		
العلوم التطبيقية	184		

فنلاحظ عدم توازن في أعداد الكتب المترجمة بين المعارف المختلفة والنقص ظاهر في عدد الكتب العلمية المترجمة في العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية إذ تقارب نسبتها 14٪ في حين أن الآداب من قصة ورواية ومسرحية ونقد والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية تزيد نسبتها عن 70٪. إن هذا الفارق ليس منسجما مع مرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي التي يمر بها الوطن العربي والتي هي أحوج ما تكون إلى العلوم الأساسية والتطبيقية.

وقد حصلت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على بضع دراسات عن واقع الترجمة في بعض الأقطار العربية وضعها خبراء محليون في هذه الأقطار فقامت وحدة الترجمة باذارة الثقافة بتحليلها ووصلت نتيجة ذلك إلى استنتاجات حول ملامح حركة الترجمة في الوطن العربي هذه أهمها:

1 — إن بعض مؤسسات الترجمة الحكومية والخاصة في الأقطار العربية قديم النشأة وبعضها حديث النشأة وهي متفاوتة فيما تصدره من كتب مترجمة من حيث الكيف والكم وثمة أقطار عربية ماتزال تفتقر إلى مثل هذه المؤسسات.

2 — لم تف حركة الترجمة بمجموعها بالحاجات

الملحة والمتنوعة للمجتمع العربي ولم تراع واقع تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وآفاق هذا التطور في المستقبل بل لقد أصدرت بعض دور الترجمة والنشر الخاصة كتبا مترجمة ليست بذات نفع للقراء بل أحيانا ضارة بهم في حين أن كتبا تعالج موضوعات مهمة جدا لم تتصد لها لأسباب تتعلق بمدى رواج الكتاب وتحقيق الربح .

3 ـ لم تلتزم هذه المؤسسات بمعايير دقيقة من ناحية الأداء اللغوي واستخدام المصطلح ولذا نجد إلى جانب المترجمات المتقنة العديد من المترجمات التي تفتقر إلى الدقة العلمية واللغوية وتعوزها أبسط الشروط الواجب توفرها من حيث المضمون والشكل .

4 ـ يغلب على هذه المؤسسات الطابع القطري تخطيطا وتنفيذا تمويلا وتوزيعا ومازال التعاون العربي في هذا المجال في حده الأدنى أحيانا ويكاد ينعدم في أحيان أخرى .

بين الأمس واليوم :

ولعلنا إذا قارنا بين حركة النقل في عصر المأمون وما قبله وما بعده وبين حركة النقل في العصر الحديث نلتمس بعض المعوقات التي تواجهنا اليوم .

- الهدف متشابه هو نقل المعارف والعلوم إلى العربية لاغناء الثقافة العربية بثقافات الأمم الأخرى .
- خط السير متشابه بدأت الحركة السابقة بمجهود أفراد ثم انتقلت إلى مؤسسة ترعاها الدولة وتمدها بالدعم المادي والمعنوي وفي العصر الحالي بدأت بمبادرات أفراد ثم نشأت المؤسسات الخاصة والحكومية .

ولكن الفارق الكبير ان تلك الحركة حققت أغراضها في مدة قصيرة من الزمن وصارت العربية لغة العلم والمعرفة لا في نطاق الدولة العربية والعالم الاسلامي فحسب بل في نطاق العالم كله مدة قرون عدة في حين أن حركة الترجمة في هذا العصر لم تحقق أهدافها بعد على الرغم من مضي قرن ونصف على ابتدائها .

قد يقول قائل : إن حجم المعارف في هذا العصر أكبر منه في السابق ولكن هذا الحجم تقابله اليوم إمكانات بشرية ومالية أضعاف ما كان لدى العرب قديما .

ولعلنا نجد الجواب في أسباب أخرى :

1 ـ كان العرب زمن المأمون دولة واحدة أمة واحدة في دولة واحدة . ونحن اليوم أمة في أكثر من عشرين دولة التعددية السياسية تؤخر اتخاذ القرار الواحد أو المشترك .

2 ـ كان النشاط الثقافي اذاك متمركزا في بغداد واليوم موزع في أكثر من عشرين عاصمة امكانات مجمعة تقابلها امكانات موزعة .

3 ـ لم يكن ثمة فاصل بين الترجمة والمصطلح ، المترجمون يجتهدون لايجاد المصطلحات للاستخدام المباشر وليست الحال كذلك اليوم .

4 ـ لم يكن في تلك الحقبة من يؤمن بقدرة اللغة العربية على أن تكون لغة الأدب والعلم ومن يشك في ذلك بل كان بدهيا عندهم أن تستطيع العربية الاتساع لمفردات ومعان جديدة ولم يخطر لأحد قط أن يدرس العلوم بالهندية أو الفارسية أو اليونانية أما اليوم فثمة من يؤمن بقدرة العربية وثمة من يشك ولذا كانت الخطوات مترددة في الترجمة والمصطلح وتعريب التعليم .

من هنا وبعد هذا الذي ذكرناه عن موضوع التعريب وارتباطه وتكامله مع المصطلح والتعريب نجدكم كان مصيبا وحكيما ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر وزراء التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في الجزائر في 14 ـ 1981/5/19 باعداد دراسة لمشروع انشاء مركز للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في إطار المنظمة وبالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية مع الأخذ في الاعتبار دور مكتب تنسيق التعريب في الرباط ...

لقد وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسة جدوى لقيام المؤسسة موضوع القرار وهي موضع

دراسة في الدول العربية لتقدم ملاحظاتها بشأنها ثم تسلك طريقها إلى الهيئات المختصة لاقرار قيامها.

لقد روعي فيها أن تتصف بصفتين: الأولى أن تكون مؤسسة عربية تنهض بجهد عربي شامل وتستفيد من الطاقات العربية المتوفرة وتستهدف خدمة التعريب والتثقيف العام والثانية أن تكون مؤسسة قادرة من حيث التخطيط والتمويل والتنفيذ وتعتمد على جهاز فني قدير من المؤلفين والمترجمين والباحثين.

إن مثل هذه المؤسسة لا يقصد منها أن تحل محل المؤسسات الحكومية والخاصة القائمة بل أن تكمل عملها وتكون علاقتها بها علاقة تعاون لا تنافس إنها «بيت الحكمة» مرة جديدة.

إن أملا كبيرا مناط بهذا المشروع ولئن تأخر عشرات السنين في نشوئه إذ كان حقه أن يكون مرافقا للنهضة العربية منذ نشأتها لأنه أداة من أدواتها فإن نشأته الآن خير منها بعد حين. إن من شأن هذه المؤسسة أن تستغل الجهود التي بذلت في حقل تعريب التعليم ووضع المصطلحات وتنسيقها والترجمة والتأليف كل السنوات السابقة في كل الأقطار العربية وتمضي قدما في مهمتها اللغوية الحضارية الكبرى.

إن التأليف الذي اشتملت عليه هذه المؤسسة بمثابة غرض من أغراضها هو بالطبع المرحلة المتقدمة من الانتاج الفكري إنه يستفيد من الترجمة ولا يقف عندها... لأن الترجمة في أفضل صورها أخذ واقتباس وأما التأليف فهو عطاء، ونحن نطمع أن نجعل العقل العربي المتفتح للنور خيرا معطاء.

إن سعيا طيبا آخر قد قامت به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إذ وضعت «الخطة القومية للترجمة» هذه الخطة التي عرضت على الهيئات الدستورية للمنظمة وأقرتها وأبلغت إلى البلدان العربية. للتنفذ.

لقد عرضت هذه الخطة إلى حال الترجمة اليوم وحددت ملامحها المستقبلية مبينة الأهداف والمنطلقات والأسس والوسائل والمراحل وطرق التنفيذ. وقد أوضحت الخطة ما ينبغي أن ينهض به كل قطر عربي في هذا المضمار وما ينبغي أن تنهض به المنظمة العربية بغية توفير مزيد من التخطيط والتنسيق والفعالية لحركة الترجمة في الوطن العربي.

وإنه ليرافق جهود المنظمة العربية هذه جهود تبذلها الدول العربية من أجل تعريب التعليم الجامعي لديها أو ما قبله ولا يتسع المقام لاستعراض هذه الجهود أو بعضها ولكنها جهود قائمة في أقطار المشرق العربي وأقطار المغرب العربي على السواء وثمة خطوات تدل على التصميم الأكيد والعزيمة الصادقة.

يقول الأستاذ الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[9]: «إن تحقيق الذاتية الثقافية يتوقف على سيادة اللغة العربية في مجال الاعداد والبحوث في التعليم العالي ومؤسساته وان كل الجهود الصالحة ينبغي أن تترجم للتغلب على المشكلات التي تواجه الأقطار العربية المختلفة في هذا الشأن سواء في التعليم العام أو في التعليم العالي».

إنني لأعتقد أن تعريب التعليم الجامعي الذي هو تعريب للتفكير والفكر وبعث للأصالة وتأكيد للذات إنما يقع في سياق حركة الانسان العربي للتخلص من الجهل والتأخر اللذين أورثته إياهما عهود الغربة التي نأت به عن حقيقته وموقعه عهود القهر والتسلط وسعيه لاستعادة دوره في مسيرة الحضارة الانسانية.

ولذا كان حريا بأن ننزله المنزلة التي يستحق من تفكيرنا ونضعه في مقدمة مشروعاتنا حتّى يكتب له الفوز والنجاح.

---

(9) الدكتور محي الدين صابر: دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية 1981.